صنافة كالفي اللغوية: ميزان أم مقصلة ؟

الأستاذ: بولرباح لطرش
جامعة الجلفة – الجزائر

ملخص

يتوخّى المقال تقديم قراءة نقدية لنظرية جديدة في تصنيف لغات العالم للساني الفرنسي(لويس جون كالفي) ؛ أطلق عليها تسمية: **بارومتر اللغات** ، و اصطنع لها موقعا على الإنترنت العام 2010 ، بانيا إياها على مؤشرات توحي بالموضوعية والدقة في التصنيف .

و كان من نتائج هذا البارومتر أن احتلت الفرنسية المرتبة الثانية و العربية المرتبة الثامنة ؛ الأمر الذي دعا إلى اختبار مدى موضوعية و دقة هذا البارومتر ، و التساؤل عمّ إذا كان يضمر خلفية إيديولوجية و لا سيما أن صاحب النظرية واحد من أهم منظري الفرانكفونية اليوم ؟

الكلمات الدالة : بارومتر اللغات ، أوزان اللغات ، الأنتروبيا ، الصراع اللغوي ، السلم اللغوي ، اللغة الهدف ، اللغة المنبع.

Résumé

L'Article est une lecture critique d'une nouvelle théorie qui s'agit de la classification des langues du monde par le linguiste français: Louis – Jean Calvet.

Il l'a nommé " **le baromètre des langues**". et en 2010, il a créé un site sur l'internet spécialement pour cette théorie qu'il a construit sur des indices suggèrent de l'objectivité et l'exactitude de la classification.

Parmi les conséquences de ce baromètre, on trouvé que le français s'est classé la deuxième langue et l'arabe était la huitième.

Ces résultats a provoque une question d'examiner objectivité et exactitude de ce baromètre, et est – ce qu'il implique un arrière plan idéologique, surtout que le créateur de cette théorie est un des principaux théoriciens de la francophonie aujourd'hui.

1. مقدمة:

لم تكن مسألة تصنيف اللغات دائما منصفة ؛ و مهما ادُّعي في المعيار الذي أسس عليه التصنيف من موضوعية فإنه يستضمر خلفية إيديولوجية قلّما تحتكم إلى المقتضيات المنهجية و المقررات العلمية .

لذا ليس من الغريب أن نميز بين توجهين مختلفين تناولا المسألة : واحد منهما يروّج لإمكانية التعايش السلمي بين اللغات تحت مظلة مجال (لسانيات الاتصال) Contact Linguistics[1] تهدف أساسا إلى تحييد الصراع اللغوي ؛ و الآخر لا يرى التعدد اللغوي إلا ضمن مقولة الصراع و الاحتراب.

و لمّا كان الاتجاه الثاني له صيت وافر في المنطقة الفركوفونية ؛ رأينا أن نتناول مُنتجا لسانيا ـ خرج من عباءة رمز من رموز مقولة الصراع اللغوي ـ له تأثير في قضية المثاقفة أو الحوار بين الثقافات، بأن نختبر مدى علمية و موضوعية هذا المنتج الذي اكتسى خطورة باحتلاله موقعا رسميا[2] على شبكة الإنترنت.

يتعلق الأمر **بـبارومتر** للغات و بمخترعه عالم اللسانيات الاجتماعية الفرنسي « لويس جون كالفي-***Louis Jean Calvet*** »[3].

2. عرض المسألة:

أُريد لهذا البارومتر أن يصنف اللغات بحسب أثقالها، و يعزي لها مقادير ترتبها درجات ؛ و لنا أن نتوقع أن تسجّل اللغة الانجليزية أعلى المراتب ، بوصفها اللغة الأهم في العالم اليوم ، و الحجة المتبادرة لإثبات هذه الدعوى هي: أن الانجليزية هي لسان العولمة الذي به تخاطب الناس .

و هو الأمر الذي يصدّقه بارومتر اللغات هذا ، إذ يقدّر ثقل اللغة الانجليزية بـ: **7,238 وحدة مركبة** على سلم تدريجات هذا البارومتر ، و هي أعلى قيمة مسجلة، لتحتل بذلك المرتبة الأولى – أي الأثقل على حد تعبير كالفي– و مادام أن هذه النتيجة المسجلة لم تخرج عن المتوقع، فلا ينصرف الذهن إلى التشكيك في مصداقية هذا البارومتر .

غير أن الجدل ينقدح لمّا تحتل اللغة الفرنسية المرتبة الثانية بحسب بارومتر كالفي بوزن قدره: **4,587** ، و تحتل اللغة العربية المرتبة الثامنة بوزن قدره:**2,660** .

فما قصة هذا البارومتر الذي يحدد للغات العالم أوزانا، و يرتبها أثقالا ؟ و إلى أي مدى يعكس هذا التصنيف الجديد خارطة العالم اللغوية ؟

تبدأ القصة بالملتقى الذي نظّمته جامعة بروفانس بالتعاون مع معهد الفرنكوفونية يومي 27 – 28 سبتمبر 2007 و الذي حمل العنوان :« وزن اللغات le poids des langues»، حيث ألقى لويس جون كالفي مداخلة اقترح فيها مجموعة من العوامل التي بالاستناد إليها يمكن تصنيف اللغات و ترتيبها ، و من ثمّ التعرف على وزن لغة من لغات العالم .

و تتوج القصة بعد استكمال دراسة الموضوع على مدى أكثر من ثلاثة أعوام بما سماه ببارومتر اللغات Baromètre des langues، أطلقه مفصلا بالإنترنت في عام 2010 و ذلك على الموقع:

www.portalingua.info/fr/poids-des-langues .

يتشكل البارومتر من العوامل التي نقّحها صاحبها جاعلا منها عشرة معايير أو مؤشرات، و هذه المؤشرات تتراوح قيمها بين 0 و 1 ، و بمجموع قيم المؤشرات ينتج وزن اللغة المقيسة ، لتحصل الإنجليزية على المرتبة الأولى و الفرنسية على الثانية ، و العربية تتنزّل المنزلة الثامنة .

أما تلك المؤشرات العشر التي بُني عليها الميزان اللغوي فنوردها مقتضبة على النحو التالي:

1. عدد المتكلمين للغة ما .
2. الأنتروبيا.
3. مؤشر التنمية البشرية(HDI) .
4. معدل الخصوبة .
5. معدل الانتشار على الإنترنت .
6. عدد المقالات على موقع الوكيبيديا Wikipedia.
7. رسمية اللغة.
8. جوائز نوبل في الأدب.
9. الترجمة: من اللغة المنبع.
10. الترجمة : إلى اللغة الهدف.

و النتائج التي أسفر عنها إعمال هذه المؤشرات كل واحدة على حدة ، فيما يتعلق بالمراتب الثلاثة الأولى و المقارنة بين كل من الفرنسية و العربية ، نقرأها في الجدول التالي:

جدول(1): المقارنة بين رتبة العربية و الفرنسية و بين اللغات الثلاثة الأولى حسب مؤشرات بارومتر اللغات ، كل واحد على حدة.

	المرتبة الأولى	المرتبة الثانية	المرتبة الثالثة	مرتبة الفرنسية	مرتبة العربية
عدد المتكلمين	الصينية	الاسبانية	الانجليزية	15	04
الأنتروبيا	الاسبانية	العربية	أرمينية	21	02
مؤشر (HDI)	السويدية	الهولندية	الفرنسية	03	74
معدل الخصوبة	لوباكاساي	الصومالية	لغة الموري	92	27
الإنترنت	السويدية	الدنمركية	الفنلندية	11	67
الويكيبيديا	الانجليزية	الألمانية	الفرنسية	03	23
رسمية اللغة	الانجليزية	الفرنسية	الاسبانية	02	04
جوائز نوبل	الانجليزية	الفرنسية	الألمانية	02	12
الترجمة من	الانجليزية	الفرنسية	الألمانية	02	14
الترجمة إلى	الألمانية	الاسبانية	الفرنسية	03	27

3. قراءة في المؤشرات

1.3. عدد المتكلمين بلغة ما :

يصرّح كالفي بأن مرجعه في احتساب عدد المتكلمين لكل لغة هو الموقع: www.ethnologue.com/web.asp الذي يقدم إحصائيات عن عدد المتحدثين بلغة ما بوصفها لغة أولى ، فتكون القيمة **1** للغة التي يتكلمها أكبر عدد في العالم و هي لغة (الماندارانMandarin– التسمية الغربية للغة الصينية) ، وتكون القيمة 0 للغة التي يتكلمها عدد قليل مثل اللغة الايرلندية على حد وصف كالفي في ملتقى 2007 الآنف الذكر.

من الواضح جدا أن معيار عدد المتكلمين هو الأكثر موضوعية من غيره من المعايير المذكورة آنفا، و إن كان الوقوف على العدد المضبوط لمتكلمي لغة ما أمرا يصعب تحقق منه للتداخل الشديد بين اللغة النمط و اللغة المستعملة – و لنضع في الحسبان التداخل اللهجي– .

و وفق هذا المعيار تحتل اللغة العربية المرتبة الرابعة بعد كل من الصينية و الإسبانية و الإنجليزية على الترتيب ، و لا تحتل الفرنسية إلا المرتبة الخامسة عشرة.

2.3. الأنتروبيا:

يبدو أن معيار الأنتروبيا جيء به لرأب الفتق في المعيار السابق و معيار اللغة الرسمية بطريقة رياضية تقيس التغير العشوائي و تحسب الاحتمالية المتوقعة لمتكلمي لغة ما عبر أكثر من بلد ، أو بمعنى آخر حساب قيمة التشتت اللغوي على رقعة جغرافية تمتد على أكثر من بلد ،و ذلك من خلال الدالة الرياضية التالية : $Entropie = -\Sigma(pi \times Log(pi))$

حيث pi هي احتمالية وجود نظام في حالة معطاة، و Log(pi) هي اللوغاريتم الطبيعي لهذه الاحتمالية ، و Σ رمز مجموع كل حالات pi المحتملة، و المثال الذي يشرح به هذا المفهوم هو:

لنعتبر لغة ماُ تتكلم بأغلبية (**98%**) في دولة و بأقلية (**0,02%**)في دولة ثانية، نتحصل على أنتروبياها كمايلي:

(0,98 × لو 0,98 + 0,02× لو0,02) = 0,098

يُراد لهذا المؤشر أن يقدم قيمة عددية لمدى توزع متكلمي لغة ما عبر رقعة جغرافية بغض النظر عن العدد الإجمالي لهؤلاء المتكلمين.

مع ذلك يسفر هذا المعيار الذي يبدو موضوعيا إلى حد ما على النتائج التالية :

- أنتروبيا اللغة العربية في المرتبة الثانية بعد الإسبانية بقيمة قدرها:**2,3929** .
- أنتروبيا اللغة الانجليزية في المرتبة الحادية عشرة بقيمة: **1,184.**
- أنتروبيا اللغة الفرنسية في المرتبة الحادية و العشرين بقيمة: **0,8746.**

و لعل نتائج هذا المعيار تصدّق ما ذهب إليه اللساني الإنجليزي **ديفيد كريستل David crystal** باعتباره واحدا من أبرزالمختصين في اللسانيات الاجتماعية في مقابلة تلفزية[4]، حينما رشح كلا من الإسبانية و العربية و الصينية لتحل محل اللغة الإنجليزية في المستقبل القريب ، و لم يأت على ذكر اللغة الفرنسية .

3.3. مؤشر التنمية البشرية (HDI):

المرجع في ذلك موقع الأمم المتحدة الرسمي على شبكة الانترنت، و المؤشر يقيس معدل التنمية . المركب من الناتج القومي الإجمالي للفرد الواحد و متوسط عمر الفرد المتوقع و المستوى التعليمي . و ذلك لكل دولة معنية بلغة يتكلمها أفرادها، بشرط ألا يقل عدد المتكلمين بتلك اللغة على **1%** في العالم .

و حسب هذا المعيار تحتل السويدية المرتبة الأولى بقيمة : **0,9629**، و الفرنسية المرتبة الثالثة بقيمة: **0,9609**، في حين تقع الانجليزية في الرتبة الثانية عشرة بـ: **0,9506**، و العربية تتأخر إلى المرتبة الرابعة و السبعين بعد الزولو zoulou بقيمة: **0,6439**.

واضح جدا أن هذا المعيار يشكو خللا لاعتماده على عوامل خارج . لغوية من قبيل الإنتاج و النظام السياسي و البنية الاجتماعية و ما يحفها من قيم ، في حين أن العوامل الداخلية للغات أي إمكانيات اللغات الذاتية مستبعدة .

و هو الأمر الذي جعل لغة ميتة مثل العبرية . و هي ليست ميتة بهذا المعيار . تصنف في المرتبة السادسة عشرة بـ: **0,9287** قبل العربية بكثير .

4.3. معدل الخصوبة:

من موقع الأمم المتحدة الرسمي أخذت معطيات هذا المعيار الذي يقيس معدل عدد أولاد كل امرأة في البلدان المعنية بلغة ما و حساب متوسطه المرجح بالنسبة لتلك اللغة.

فكان حاصل هذا المؤشر أن احتلت المرتبة الأولى لغة " **لوباكاساي**" اللغة الوطنية لجمهورية الكونغو الديمقراطية ، لكن الذي يعنينا هو تصنيف اللغات الثلاث المقارن بينها، إذ احتلت العربية المرتبة السابعة والعشرين بـ:**3,152** ، و الإنجليزية المرتبة السابعة والثمانين بـ: **2,0135**، و الفرنسية المرتبة الثانية و التسعين بـ:**1,86** . لذا يبدو أن هذا المؤشر لوحده لا يعبر فعليا عن اللغات ذات الأهمية في العالم ، لكنه مفيد في توقع مستقبل اللغات بالنظر إلى عدد المتكلمين المنتظر انضواؤهم تحت لغة ما ، مما يوفر حدا من الموضوعية لهذا العامل المرجح بين اللغات.

5.3. معدل الانتشار على الإنترنت:

و المرجع في هذا المؤشر هو ما يقدمه الموقع الإحصائي على الإنترنت: **Internet World Stats** ، فتمثل قيمة كل لغة من منظور هذا المعيار من خلال قسمة عدد مستخدمي الإنترنت بلغة بلد ما على مجموع سكانه ، ثم حساب المتوسط المرجح لكل البلدان المعنية بتلك اللغة.

فكان أن احتلت السويدية المرتبة الأولى بـ: **88,9944**، و الإنجليزية المرتبة السابعة بـ: **73,5474**، و الفرنسية المرتبة الحادية عشرة بـ : **70,1568**، و العربية المرتبة السابعة و الستين بـ:**15,6404** .

التحفظ على هذا المعيار هو أن النسب المسجلة لا تتعلق بذات اللغة بل بمستخدميها ، و لمّا كانت التقنية هي أيسر عند أفراد مجتمع ما . كالمجتمعات الاسكندينافية . أكثر من غيرهم من أفراد مجتمعات أخرى ، كانت النتائج مضللة .

علاوة على ذلك، لا ضامن أن يبحر الجزائريون – مثلا – في الإنترنت باللغة العربية، بل الأرجح أن يبحر عدد غير قليل منهم بالفرنسية، في حين أن الإحصائيات على **Internet World Stats** لا تسجل إلا النسبة العامة و يعزوها المؤشر للعربية في الجزائر، فتغدو النتائج بذلك مغالطة.

6.3. عدد المقالات على موقع الوكيبيديا Wikipedia :

ينسحب التحفظ السابق على هذا المؤشر مادامت الويكيبيديا ليست إلا موسوعة مفتوحة على الإنترنت ، بمعنى قد يكتب جزائري عليها بالفرنسية و يكتب ألماني مستشرق بالعربية ، فتأتي النتائج مغالطة.

مع ذلك يهمنا أن نعرف أن المرتبة الأولى كانت للإنجليزية ، في حين أن الفرنسية احتلت المرتبة الثالثة بعد الألمانية – الأمر الذي يخدم تصنيفها – و تأخرت العربية إلى المرتبة الثالثة و العشرين.

7.3. رسمية اللغة:

يقوم هذا المؤشر على اعتبار لغة ما لغة رسمية في بلدها بموجب الإقرار القانوني الذي ترتضيه سلطة ذلك البلد، و المرجع في ذلك القائمة المنشورة من طرف جامعة لافال **LAVAl** على موقعها في الإنترنت: **www.tlfq.ulaval.ca/axl** .

و جلي أن غموضا يكتنف هذا المعيار ، مادام تنصيب لغة ما بوصفها لغة رسمية في بلد ما هو قرار سياسي لا يراعي الواقع اللغوي المعقد في جغرافية ذلك البلد ، و أحسن مثال على ذلك اللغة الفرنسية التي رسمت في كثير من الدول الأفريقية ، من بينها الحالة الموريتانية التي اعتمدت الفرنسية لغة رسمية إلى غاية 1991 بجانب العربية، ثم تنوزل عنها لتبقى العربية لوحدها لغة رسمية للبلد.

يبدو أن هذا المؤشر مثل سابقه يصب في صالح تحسين مرتبة اللغة الفرنسية ضمن لغات العالم، لأنها تحتل المرتبة الثانية خلف الإنجليزية ، أما العربية فالرابعة خلف الإسبانية .

8.3. جوائز نوبل في الأدب:

يراد بهذا المؤشر ترتيب اللغات وفق عدد الجوائز نوبل المتحصل عليها في مجال الأدب المنشور بتلك اللغات، لتسجل الإنجليزية المرتبة الأولى و الفرنسية المرتبة الثانية و العربية الثانية عشرة اعتمادا على قائمة موقع الجائزة على الانترنت **nobelprize.org** .

النقد الموجه لهذا المؤشر يكمن أساسا في أن الجائزة لا تعكس إلا النظرة المركزية الأوربية في تقييمها للأدب العالمي، و يغيب عنها نظرة الآخرين للآدابهم و الآداب الأوربية ، مما جعل صاحب هذا البارومتر نفسه يتحفظ على هذا المؤشر[5] ، دالا بذلك على عدم ملاءمته لتصنيف لغات العالم.

9.3. اللغة بوصفها منبعا للترجمة:

يستمد هذا المؤشر معطياته من صفحات**l'Index translationum** المنشورة على موقع **UNESCO** ،

و يسجل ترتيب اللغات التي تحظى بالإقبال على ترجمة مكتوبها ، فهي لغات توصف بالمنبع SOURCE لحصول الترجمة منها .

لا شك أن يسفر المؤشر على المرتبة الأولى لصالح الإنجليزية ، مادام القرار العالمي – علميا و اقتصاديا و سياسيا و غيرها...– هو قرار مصوغ بهذه اللغة.

في حين أن اللغة الفرنسية تحتل المرتبة الثانية ، والعربية لا تسجل إلا المرتبة الرابعة عشرة.

يبدو أن نتائج هذا المؤشر مبررة جدا للوضع الحضاري لمتكلمي هذه اللغات الثلاث، إلا ما أبداه صاحب البارومتر من ملاحظة على العربية من أنّ وضعها خاص بإزاء عربيات لهجية ، إذ المؤشر سجل أن الترجمة تتم باللغة العربية الفصحى و ليس بتلك العربيات اللهجية التي تتعدى 25 لهجة .

و المفارقة التي أبدى شطرها الأول، هو اعتبار أن تلك العربيات هي لغات حية[6]، ليترك المستنبط يصل إلى شطرها المخفي المتمثل في أن العربية الفصحى – و في اصطلاحه هي عربية نمطية arab standard والتي لا يترجم العرب إلا بها – هي لغة ميتة.

قد أكون متجنيا في استلال هذه النتيجة لولا أني وجدت الرجل يصرح في غير هذا المقام بما يتطابق مع مضمون ما أدعيه حين قال: « و تدين العربية بموقعها بصورة أساسية إلى كونها لغة الدين، و لغة القرآن ، ولغة توحيد العالم العربي. لغة القرآن، أي العربية الفصحى، لغة تستخدم في الكتابة بصورة أساسية، و يمكن أن تستخدم أيضا في العظات أو في بعض الدروس كما كان عليه حال اللاتينية في عدد من بلدان أوروبا في العصور الوسطى؛ فهي كاللاتينية إذاً لغة ميتة »[7].

أ ليس التجني هو من قبل كالفي على العربية إذ يسويها باللاتينية ؟ و الحال أن العربية الفصحى اليوم تختلف وضعيتها جوهريا عن حال اللاتينية في العصور الوسطى ؛ يكفي أن نذكر أن العربية اليوم مازال نظامها الصوتي و تأديته الفصيحة مطابقا لما كان عليه حالها قبل خمسة عشر قرنا بفضل منهجية القرّاء العلمية في ذلك، و ليس لدينا إلا لغة فصحى واحدة هي لغة القرآن .

أما لاتينية القرون الوسطى فليست هي اللاتينية الكلاسيكية، و ليست هي اللاتينية القديمة ، بل ليست هي لاتينيات اليوم ، كما أن نظامها الصوتي متغير عبر حقب تطورها على مدى 3000 عاما من تاريخها؛ الأمر الذي دعا لسانيا من مثل (لوران ساغار Laurent Sagart) يتساءل بقوله: « قد يساورنا الشك في اللغة اللاتينية بشأن لفظ الرمز(c): فهل يجدربنا لفظه(k) أو (tch) على الطريقة الإيطالية... »[8] ، لكن لا يساورنا أدنى شك في نطق كل الحروف العربية – بصفاتها و هيئاتها و أزمنتها – بمثل ما نطقت به العرب قديما أصواتها و تلقت به قرآنها.

فلا ينمّ موقف صاحب البارومتر اللغوي من العربية إلا عن ضبابية تصوره لها من حيث هي لغة ذات بنية مخصوصة تؤهلها لأن تستمر في الحياة إلى زمن غير قريب ، و قد تخلف الإنجليزية على حدّ ما تكهن به اللساني الإنجليزي شريكه في التخصص: ديفيد كريستل .

غير أن المؤشر في حدّ ذاته بوصفه عاملا من عوامل قياس قوة اللغات و تصنيفها يبدو موضوعيا أكثر من سابقه، يضاهيه في ذلك المؤشر التبيع له ، و المتمثل في اللغات بوصفها هدفا للرتجمة.

10.3. اللغة بوصفها هدفا للترجمة:

يعتبر هذا المؤشر عكسا لسابقه، إذ يصنف اللغات من منطلق ترجمتها عن اللغات الأخرى، فهي لغات توصف بكونها لغة هدفا CIBLE لحصول الترجمة إليها.

و يستمد المؤشر معطياته من مرجع المؤشر السابق، لتحتل الفرنسية المرتبة الثالثة بعد الألمانية و الإسبانية على الترتيب ، و تحتل الإنجليزية المرتبة الخامسة ، وتتأخر العربية إلى المرتبة السابعة و العشرين.

و لن يقال عن هذا المعيار التصنيفي إلا ما قيل عن سابقه .

لكن إجمالا و بتوخّي شرط الموضوعية في المؤشرات العشرة، نميز بين ما تستوفي هذا الشرط و بين ما لا تستوفيه من منطلق التحفظات المسجلة عليها .

أما تلك المستوفية فهي : عدد المتكلمين و الأنتروبيا و معدل الخصوبة و الترجمة باتجاهيها ؛ فهذه معايير تتناسب مع تصنيف اللغات و ترتيبها من حيث الأهمية.

و بالاقتصار على هذه الخمسة و إقصاء ما عداها على بارومتر كالفي نتحصل على الترتيب التالي :

- الإنجليزية : المرتبة الأولى بقيمة = **2,433** .
- الإسبانية : المرتبة الثانية بقيمة = **2,390**.
- العربيـة: المرتبة الثالثة بقيمة = **1,641**.
- الفرنسية: المرتبة السادسة بقيمة = **1,473**.

4. المغيّب من المعايير:

هذا إذا التزمنا بالبارومتر و ما يتوفر عليه من خاصية تعطيل أي مؤشر يُتحفّظ عليه؛ أما إذا بحثنا عما ينقص البارومتر من معايير لم يدرجها ، وهي من الجدارة بمكان في فكرة تصنيف لغات العالم من حيث الأهمية ، فإن اثنين من أهمّ خصائص اللغات لم يتم التطرق إليهما ، على قيمتهما التصنيفية الآكدة لدى كل من له نظر في الموضوع فضلا عن الذي ترسخ قدما فيه، هما:

1.4. معيار بنية اللغة:

لم يتطرق كالفي للتفاضل البنوي بين لغات العالم ، و كل المعايير التي اقترحها هي خارجة عن التكوين الداخلي للغات.

و إذا أقرت اللسانيات منذ زمن أن لا مفاضلة بين اللغات ، فإن ذلك من منظور وظيفتها التواصلية بالمعنى الوظيفي الذي يؤسس إجرائيا للنسبية اللغوية[9]، فكل قوم لا يتواصلون إلا باللسان الذي هو مهيأ لهم اجتماعيا و جغرافيا و تاريخيا.

لكن الألسنة تتفاضل من حيث بنيتها الرياضية و المنطقية ، و ليست اللغات متساوية في علاقات عناصرها و مستوياتها من ناحية إمكانية صورنتها أو صوغها رياضيا ، و المعنيّ بهذا البحث هو الذكاء الاصطناعي بتقاطعه مع اللسانيات الرياضية ، فضلا عن الجانب النظري من اللسانيات.

فقد كشف عن تفاوت اللغات الطبيعية من هذه الحيثية، إذ هناك لغة أكثر تنظيما داخليا من غيرها .

و لعل بحوث اللساني الجزائري (عبد الرحمن الحاج صالح) تصب في هذا المنحى، فهو يعتقد أن نظريته في العربية «هي أطوع نظرية.. لهذا النوع من الصياغة و من ثم تشكيلها بالشكل الخوارزمي (algorithmique) حتى يمكن استعمالها على الرتّاب(الحاسب الإلكتروني) .. »[10].

فمؤدى هذا المعيار هو الكفاية الحاسوبية ؛ و إذا صحّ عن تشومسكي أنه قال بأن الحاسوب مغرم بالعربية ، فإن العربية ستصنف فى أعلى المراتب وفق هذا المؤشر .

2.4. معيار عمر اللغة الحقيقي و الافتراضي:

معيار أعمار اللغات له شقان :

الشق الأول يصنف اللغات الحية من حيث أعمارها الفعلية بالاستناد إلى تاريخ اللغات ، فالأقدم منها حتما ستكون في أعلى مراتب التصنيف ؛ و يعني ذلك أن طول عمر اللغة يدل على أنها تمثل عينة جاهزة لفهم ظاهرة المناعة اللغوية التي يسعى إلى اسكناه قوانينها من لهم اشتغال باللسانيات التطبيقية و البحث في السياسات اللغوية .

الشق الثاني يصنف اللغات حسب العمر الافتراضي بتوقع آجالها ؛ و تستمد معطيات هذا الشق من بحوث اللسانيين الذين يشتغلون بموضوع موت اللغات و الأركيولوجيا اللغوية .

لكننا على وعي بالتحفظ الذي قد يلحق المعيارين المقترحين ، من مثل أن المعيار البنوي يصعب الاحتكام إليه مادامت الدراسات الصورية للغات الطبيعية لمّا تصغ المعادلات الرياضية التي لها قابلية البرمجة الحاسوبية. مع ذلك فهناك اتجاه مرجح يستطيع توقع الكفاية الرياضية للغات دون إتمام الصياغة الدقيقة و البرهنة عليها.

أما معيار عمر اللغات فالمطعن فيه إيديولوجي ، من قبيل رمي اللغة الأقدم بالشيخوخة التي لا يعقبها إلا الموات ؛ و لا يخرج العمر الافتراضي عن كونه تكهن لا يحكمه قانون لساني بل يتصرف فيه سياق اللغة الذي هو عينه سياق الأفراد الذي يتكلمون تلك اللغة، و معلوم أن هذا السياق يخضع اليوم لتقاطع الكثير من مجالات المعرفة و لم يقل فيه القول الفصل.

مع هذا فإن جدارة عامل العمر قائمة، لأن الظاهرة اللغوية متلبسة بالزمن، فلا تنشأ إلا فيه، و لا تتحدد إلا من خلاله ، و عمرها مرهون بمن يوقعها على خط الزمن، و الذي هو الآخر محدود بعمر.

مما يجعل استبعاد مؤشر العمر من تصنيف اللغات يستدعي استبعاد مؤشر عدد المتكلمين ، لأنه ببساطة موت اللغة يعني موت آخر متكلم بها على حدّ مذهب ديفيد كريستل: « تموت عندما لا يبقى أحد يتكلمها»[11]، و من ثمّ تتأتى أهمية مؤشر العمر من أولوية مؤشر العدد ، حتى يكادان يعتبران وجهين لعملة واحدة.

5. خاتمة :

في الختام يعنّ سؤال يجب طرحه حول هذه المؤشرات/ المعايير هو: على أيّ أساس علمي تم انتقاؤها ؟ و لم هي محصورة في العدد عشرة؟

قد تكون الإجابة هي توافر الإحصائيات الرسمية هو الذي رشح هذه المعايير دون غيرها ، لكن ظاهرة معقدة و كيفية مثل ظاهرة اللغة – و هي كيفية بامتياز– لا يكفي الحكم عليها من خلال المناهج الكمية ، و لاسيما أن كل تصنيف للغات العالم يخفي وراءه مفاضلة لا يقر بها أصحاب اللغات المفضولة ، مما يعني أن كل محاولة للتصنيف تستضمر إيديولوجية معينة .

و لعل التحفظات التي سجلت على أغلب مؤشرات البارومتر، يظهر جليا أن نظرية كالفي هذه ما هي إلا دعاية إيديولوجية تزيّت بسيميائية الإنترنت ، لتظهر بمظهر الشرعية والسبق العلميين .

ما يؤكد هذه النتيجة هو أن كالفي لا يتبنى مقولة الصراع اللغوي و حسب، بل هو صاحب مقولة « **حرب اللغات**»، فلا تثريب عليه إن اخترع سلاحا من شأنه أن ينتصر لوضعية لغته الأم ، و يهزم اللغات التي ينصّبها عدوة ، ثم فليسمه بما شاء : بارومتر اللغات أو مقصلة اللغات.

فإذا تأكد هذا، فلنا أن نخمن على أي اللغات سلط البارومتر بوصفها عدوة ؟ و هل العربية من ضحاياه ؟

ليس لنا أن نقوّل صاحبه ما لم يقله، إلا أنه بهذا المعنى لا يمثل البارومتر إلا المعالجة السلبية بل العدوانية لظاهرة التعدد اللغوي في الواقع اللغوي العربي ؛ يصدّق هذه النتيجة ما أسفر عنه تعديل البارومتر في نسخته المطلقة العام 2012 ، و التي فكك فيه العربية الفصحى إلى لغات عربية مثل : العربية الخليجية و العربية المغربية و العربية التشادية و العربية المصرية ، و تتلاشى بذلك المرتبة العربية الثامنة على سلم بارومتر 2011 ، لتصنّف العربيات العربية إلى ما بعد المائة.

الأمر الذي يكشف عن عدوان العقيدة اللسانية المنظرة للفرانكفونية الموجهة بمقولة الاحتراب اللغوي ممثلة – على الأقل – في لويس جان كالفي، في مقابل عقيدة لسانية أخرى تقف على النقيض منها بتبنيها الحياد العلمي و السلم اللغوي ممثلة في المنحى اللساني الإنجليزي ، قد يكون أحسن من يرفع لواءها ديفيد كريستال.

و بين هذا و ذاك تعوزنا عقيدة لسانية عربية تدلو بدلوها في مسألة التعدد اللغوي وتصنيف اللغات.

الهوامش :

[1] . كولماس ، فلوريال . **(2009). دليل السوسيولسانيات**. (خالد الأشهب و ماجدولين النهيبي ، مترجمان).(ط .1) . بيروت : المنظمة العربية للترجمة . ص 621.

[2] . أطلق الموقع برعاية وزارة الثقافة و الاتصال الفرنسية.

[3] . كالفي ، لويس جون : لساني فرنسي ولد في 05 جوان 1942 ببنزرت التونسية ، أنظر ترجمته في الويكيبيديا.

[4] . انظر على **YouTube.com** : Engish Professor says Arabic may overtake English in the future

[5] . صرح برغته في شطب المؤشر من البارومتر في ندوة أقمتها l'Alliance Française de Toronto في 09 – 02 – 2011.

[6] . أسترجع في تاريخ 03 سبتمبر، 2011 من /http://www.portalingua.info/fr/poids-des-langues/facteur/langue-source

[7] . كالفي، لويس جان. (2008). **حرب اللغات و السياسات اللغوية** .(حسن حمزة ، مترجم). (ط.1). بيروت: المنظمة العربية للترجمة . ص 89.

[8] . بيك ، باسكال ، و ساغار ، لوران ، و ليستيان ، سيسيل . (2009). **أجمل قصة عن اللغة** . (ريتا خاطر، مترجم). (ط.1). بيروت : المنظمة العربية للترجمة . ص 110.

10. Martinet, André.(1970). **La linguistique synchronique**. paris: presse universitaire de France p8.

[10] .الحاج صالح ، عبد الرحمن . (2007) . **بحوث و دراسات في اللسانيات العربية** .الجزائر: موفم للنشر. ج1.ص 226.

11. Crystal , david**.(2000). Language death**. New York Cambridge University Press.p 01 .

مراجع المقال :

- **المراجع العربية:**

1. بيك ، باسكال ، و ساغار ، لوران ، و ليستيان ، سيسيل . (2009). **أجمل قصة عن اللغة** . (ريتا خاطر، مترجم). (ط.1). بيروت : المنظمة العربية للترجمة .
2. كالفي، لويس جان. (2008). **حرب اللغات و السياسات اللغوية** .(حسن حمزة ، مترجم). (ط.1). بيروت: المنظمة العربية للترجمة .
3. كولماس ، فلوريال . **(2009). دليل السوسيولسانيات**. (خالد الأشهب و ماجدولين النهيبي ، مترجمان). (ط .1) . بيروت : المنظمة العربية للترجمة .
4. الحاج صالح ، عبد الرحمن . (2007) . **بحوث و دراسات في اللسانيات العربية** .الجزائر: موفم للنشر.

- **المراجع الأجنبية:**

1. Crystal , david**.(2000). Language death**. New York Cambridge University Press.**.**
2. Martinet, André.(1970). **La linguistique synchronique**. paris: presse universitaire de France.

- **مواقع الإنترنت:**

1. www.portalingua.info/fr/poids-des-langues/facteur/langue-source/
أسترجع في تاريخ 03 سبتمبر، 2011.

2. Youtube.com:Engish Professor says Arabic may overtake English in the future